الفصل الأول
ألوهية المسيح

أولا: شهادة المسيح عن ألوهيته

شهادة المسيح عن ألوهيته هي بالطبع أهم شهادة بخصوص هذا الموضوع؛ فهو لم يكن يتمتع بشركة متواصلة بالله فحسب بل كانت لديه أيضا قناعة واضحة بكونه، هو نفسه، ذو طبيعة إلهية. هذا ما نراه بوضوح منذ بلوغه الثانية عشرة من عمره، إن لم يكن قبل ذلك، حين أجاب عن سؤال أمه قائلا: "لماذا كنتما تطلبانني؟ ألم تعلما بأنه ينبغي أن أكون فيما لأبي؟" (لوقا2: 49). كانت هذه العبارة في الواقع من التعابير الأكثر شيوعا في تعليم المسيح. ثم أنه نسب لنفسه بكل وضوح مكانة مساوية لله الآب: "أنا والآب واحد" (يوحنا10: 30). وكذلك يذكر الإنجيل مكانة المسيح المساوية للآب كما جاءت في بشارة يوحنا: 5: 23 و 12: 44 و 45، 14: 9 "لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله". و "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني" "والذي يراني يرى الذي أرسلني" و "الذي رآني فقد رأى الآب".

المسيح وحده يكشف عن الله بحق: "كل شيء قد دفع إليَّ من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يُعلن له" (متى 11: 27). وفي مثل الكرامين الأشرار كشف المسيح عن كونه الابن وارث الكرمة معطيا لنفسه مركزا أسمى من الأنبياء؛ فهو الذي رُفض وذُبح، كما أنه هو الذي صار "رأس الزاوية" (متى21: 33 – 45).

كان عمله مطابقا لعمل الآب: "لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك" (يوحنا 5: 19). وشهادة المسيح عن بنوَّته وعن شركته الخاصة مع الآب وألوهيته كانت أمرا

واضحا لليهود؛ ففي إحدى المناسبات التقطوا حجارة وحاولوا رجمه بها فقال لهم يسوع: "أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي منها ترجمونني؟ أما هم فأجابوا: "لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا" (يوحنا10: 32 و 33). وعندما اشتكوا عليه أمام بيلاطس قالوا: "لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله" (يوحنا19: 7).

وكلمات المسيح التي تفوَّه بها في الأسبوع الأخير من حياته على الأرض هي كلمات الله بالذات، فلو أن إنسانا عاديًا نطق بها لاعتبره البشر مجدفا. لكن يسوع حثَّ تلاميذه على أن يكون إيمانهم به نفس الإيمان الذي لهم في الله: "أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي" (يوحنا14: 1). كما أنه أخبرهم بأنه سينطلق إلى السماء ليعدَّ لهم مكانا وأنه سيعود ليأخذهم إليه. كما أنه كشف عن كونه "الطريق والحق والحياة" وأنه لا يمكن لإنسان أن يأتي إلى الآب إلا به. من يعرفه يعرف الآب، ومن يراه يرى الآب، فهو والآب واحد.

هو ذاهب إلى الآب وكل صلوات يرفعونها باسم يسوع تكون مقبولة. ووعد يسوع المسيح تلاميذه بأنه سيرسل إليهم الروح القدس الذي هو الأقنوم الثالث في الثالوث الأقدس، ذلك أن الروح القدس يقوم بوظيفة المعزي والرفيق والمعلم؛ فهو الذي يحفظ تعاليمهم من الخطأ، وهو الذي يعطي البصيرة الروحية لكل المؤمنين. وكشف المسيح بأنه هو المصدر الحقيقي لحياة الكنيسة، وعلى كل مؤمن أن يكون متَّحدا به كما أن كل غصن حي يبقى متصلا بالشجرة. هم لم يختاروه بل هو الذي اختارهم حتى أنه قد أصبحت بينهم وبين "العالم" هوة عظيمة. والعالم الساقط في حمأة الشر والخطية يبغض المسيح، ومن يبغض المسيح يبغض أباه أيضا. وكشف يسوع عن كون كل الأشياء التي للآب هي له وكل ما يُطلب من الآب باسمه يُعطى؛ فهو قد خرج من عند الآب وأتى إلى العالم وكان مزمعا أن يترك العالم ليعود إلى الآب.

في صلاته الشفاعية في الفصل السابع عشر، من الإنجيل حسب يوحنا، طلب المسيح من الآب أن يمجِّد الابن (أي يسوع نفسه) وقد بنى طلبه هذا على أساس أن تمجيد الابن يؤول إلى تمجيد الآب أيضا. ثم إننا في تلك الصلاة نرى بأنه نسب لنفسه سلطة منح الحياة الأبدية لجميع الذين أعطاه إياهم الآب، وهي الحياة الناتجة عن معرفة الله التي ترتبط بمعرفة يسوع بالذات. لكن يسوع ذكر أيضا بأن المجد الذي طلبه من الآب هو نفسه المجد الذي للآب وهو أيضا ذات المجد الذي شارك فيه الآب أصلا قبل تكوين العالم.

وأثناء محاكمته أمام مجلس السبعين شهد يسوع المسيح جهارا وعلانية بألوهيته. وعندما تمت المحاكمة حُكم عليه بالموت لأنه كان قد نطق "بتجديف" إشارة إلى شهادته عن ألوهيته؛ فقد سأله رئيس الكهنة: "أأنت المسيح ابن المبارك؟" (مرقس14: 61). وأجاب يسوع: "أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا في سحاب السماء" (مرقس14: 62). "فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود، قد سمعتم التجديف ما رأيكم؟ فالجميع حكموا عليه بأنه مستوجب الموت" (مرقس14: 63و64).

وعندما أسند المسيح إلى تلاميذه الرسالة العظمى (أي المناداة بالإنجيل في سائر أنحاء العالم) بعد قيامته من الموت، وقبل صعوده إلى السماء قال لهم: "دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض؛ فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (متى28: 18- 20).

نلاحظ من كلمات السيد المسيح هذه أنه أورد اسمه في لائحة أسماء الثالوث الأقدس؛ إذ أوصى بأن على المؤمنين به أن يعتمدوا بذلك الاسم واعدا إياهم بأن يكون معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر. وعندما نسب إلى نفسه "كل سلطان في السماء وعلى الأرض "كان يعني بأنه يملك القدرة على كل شيء. أما كونه مع أتباعه كل الأيام

وإلى انقضاء الدهر فيعني كونه موجودا أو حاضرا في كل مكان. ثم إن ممارسة المعمودية "باسم الآب والابن والروح القدس" يُضفي صيغة في غاية الأهمية بالنسبة لهذه الفريضة المقدسة . ونلاحظ أن الصيغة هي صيغة الجمع (الآب والابن والروح القدس) ثلاثة أقانيم أو كيانات مميزة، لكل واحد اسم خاص به. ثم نلاحظ أنه لم يقل باسم الآب وابن وروح قدس بحذف أل التعريف عن أقنومي الابن والروح القدس، كما لو أن الأمر كان يخص أقنوما واحدا له ثلاثة أسماء، فالأمر هو بعكس ذلك. كل أقنوم في الثالوث الأقدس سُمِّي بصيغة المفرد، و"أل التعريف" كُرِّرت لكل منهم بصورة دقيقة وواضحة. فمع أن الأقانيم الثلاثة موحَّدون في طبيعة وصفة واحدة (أي الله) إلا أنهم يبقون مميزين كأقانيم، الواحد عن الآخر. فما أكده يسوع المسيح في هذه الوصية هو أن إيمان أتباعه ومن يؤمنون بواسطة مناداتهم بالإنجيل مبني على اسم الله المثلث الأقانيم "الآب والابن والروح القدس". ومما لا شك فيه أنه قد أشار إلى نفسه في اسم "الابن" واضعا نفسه على ذات المرتبة مع "الآب" و"الروح القدس"، ذلك أنه معهما الإله الواحد السرمدي الكائن بذاته.

شهد يسوع المسيح بأنه يتمتع بصفة الألوهية، ولابد لكل من يدرس العهد الجديد (أي الإنجيل) بطريقة موضوعية من أن يصل إلى نفس النتيجة. وهذا هو الانطباع السائد بين الجماهير الغفيرة من قراء العهد الجديد عبر العصور والأجيال.

ثانيا: شهادة الرسل لألوهية المسيح

تقف شهادة من شاركوا في كتابة أسفار الإنجيل (العهد الجديد) في انسجام تام مع تعاليم المسيح وشهادته عن ألوهيته. لقد ظهر الملاك جبرائيل لزكريا وأخبره بأنه سيكون له ولامرأته أليصابات ابنا تُسند إليه مهمة خاصة ألا وهي: "لكي يهيئ للرب شعبا مستعدا" (لوقا1: 17). والملاك نفسه عندما كشف لمريم بأنها ستكون أمًّا للمسيح المنتظر أخبرها بأن ذلك الطفل "يكون عظيما وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية" (لوقا1:

32و 33). هذه المزايا لا يمكن أن تكون لأي كائن ما لم يكن إلهًا بالفعل. "اسمه يدعى يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (متى1: 21). هذه مهمة لا يمكن لشخص أقل من الله بالذات أن ينجزها. والبشير متى عندما أتى على ذكر إحدى نبوات العهد القديم الخاصة بالمسيح قال: "هذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (متى1: 22و 23)، وهي نبوة مستقاة من سفر إشعياء7: 14. أما المجوس (حكماء المشرق) الذين كانوا قد أعطوا بصيرة روحية معجزية بعد سفرتهم الطويلة، سعيًا وراء الملك الموعود به، فما أن وصلوا إلى بيت لحم – مكان ولادة يسوع – حتى "خروا وسجدوا له" (متى2: 11). والركوع والسجود له بهذا الأسلوب ما هو إلا جهل وتجديف لو لم يكن المسيح متمتعا بطبيعة إلهية.

لقد شهد يوحنا المعمدان عن نفسه بأنه ليس سوى مُجهِّز ومُمهِّد لطريق الآتي بعده، لا بل وإنه تخطى ذلك عندما صرَّح بأن الآتي بعده أعظم منه بكثير، حتى أنه لم يكن مستحقا أن يحل رباط حذائه، أي أنه لم يكن مستحقا أن يكون خادما له. وعندما ظهر المسيح وتعمد بالماء على يده بعد إصرار مُلِح، رأى يوحنا المعمدان "السموات مفتوحة وروح الله نازلا عليه (أي على يسوع المسيح) وصوت (الله الآب) من السماء قائلا: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت" (متى3: 17). وفي اليوم التالي أشار يوحنا إلى يسوع قائلا: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" و"... الذي يُعَمِّد بالروح القدس"، و"هذا هو ابن الله" (يوحنا1: 29، 33، 34).

في مقدمة الإنجيل حسب يوحنا1:1 نجد تصريحا واضحا لا يعتريه شك عن ألوهية المسيح: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله". وقد نسب الرسول يوحنا هذا (وهو غير يوحنا المعمدان) إلى المسيح يسوع أمورا لا تُنسب لغير الله بكل ما في ذلك من معنى، *فالكلمة* وسيلة التعبير عن *الفكر*، ووراء كل كلمة تكمن فكرة خاصة. *ونسبة الكلمة إلى الفكر* هي بالذات *نسبة المسيح إلى الله*. الكلمة تكشف عن فكرة معينة والمسيح يكشف عن الله بالذات. فالمسيح جاء ليُظهر الله للبشر: "الله

لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر" (يوحنا1: 18). إن أزلية المسيح كُشف عنها في مضمون التعبير "في البدء". عند بدء أو خليقة العالم كان المسيح "موجودا". الفعل هو بصيغة الماضي التام في اللغة الأصلية (اليونانية) وهو يُبرز فكرة وجود المسيح يسوع الأزلي. وقد عَبَّر عن ذلك أحد كبار اللاهوتيين بقوله: "الكلمة كان عند الله منذ الأزل، في رفقة الآب كأقنوم مشارك في اللاهوت (أي الألوهية)، ومع أنه كان هكذا أقنوما مميزا، لم يكن كائنا منفصلا عن الله، فالكلمة كان الله".

في مقدمة الإنجيل حسب يوحنا أيضا اعتُبر "الكلمة (المسيح) "كائنا قبل التاريخ. ليس ذلك فقط بل نرى أن كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (العدد الثالث). أما في العدد الرابع عشر فنقرأ: "والكلمة صار جسدا وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا". والبشير يوحنا نفسه في رسالته الأولى4: 2 قال عن المسيح: "قد جاء في الجسد"، فهو يريدنا أن ندرك بأن المسيح لم يكن مجرد رفيق الله الأزلي، بل أنه هو الله الأزلي بالذات. استعمل يوحنا كلمة "جسد" ليشير بصورة عامة إلى الطبيعة البشرية بما تتضمنه من محدودية وضعف. بذلك كشف في مقدمة الإنجيل بكل بساطة عن حقيقة الله الأزلي وهو يأخذ وجودا يشارك فيه الاختبار البشري العادي مع البشر. وبإيجاز فإن الله تجسد في الإنسان يسوع المسيح، "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد" (1تيموثاوس3: 16).

وعندما جاهر الرسول بطرس بشهادته العظمى، لم يكن يعبر عن مجرد معتقده الشخصي، إنما كان يعبر عن معتقد غالبية التلاميذ حين قال ليسوع: "أنت هو المسيح ابن الله الحي" (متى16: 16). وهكذا نرى أنه مع مواصلة يسوع الكشف عن ألوهيته للبشر فإن توما، أكثر التلاميذ تشككا، وصل إلى مرحلة السجود عند قدمي المسيح والاعتراف بالقول: "ربي وإلهي" (يوحنا20: 28). هذا القول قبله المسيح بلا تردد، ولذلك يمكن اعتباره تأكيدا مباشرا من المسيح نفسه وجزءا لا يتجزأ من قناعته الشخصية بألوهيته. كما أن قيام الرسل بالمعجزات هو دليل إضافي على ألوهية

المسيح؛ فالمعجزة التي شفى بها بطرس الرجل الأعرج الواقف على باب الهيكل، فعلها بطرس باسم المسيح إذ قال للرجل: "باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش" (أعمال الرسل3: 6)، وبالفعل مشى الرجل وزالت علته. لكن ذلك أغاظ زعماء اليهود الذين اعتقلوا بطرس ورفيقه يوحنا وباشروا محاكمتهم. وفي معرض رد بطرس على اتهاماتهم واعتراضاتهم قال: "إن كنا نُفحص اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم بماذا شُفِي هذا، فليكن معلوما عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم، الذي أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحا" (أعمال الرسل4: 9و 10). وعندما أخرج الرسول بولس الروح الشرير من امرأة قال: "أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها" (أعمال الرسل16: 18). أما استفانوس أول شهيد مسيحي شهد قبل موته قائلا: "أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائما عن يمين الله" (أعمال الرسل7: 56).

لقد شهد بولس في تعليمه مرارا وتكرارا لألوهية المسيح، فحالما اهتدى إلى المسيح ذهب إلى مجامع اليهود في دمشق وشرع يبشر بالمسيح قائلا: "إن هذا هو ابن الله" (أعمال الرسل9: 20). وقد كشف في رسالته إلى أهل كولوسي عن كون المسيح "صورة الله غير المنظور" (كولوسي1: 15)، كما أنه صرح بأن "فيه يحل كل ملء اللاهوت (أي الله) جسديا" (كولوسي2: 9)، كذلك ذكر بولس إلى أهل كورنثوس بأن "الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه" (2كورنثوس5: 19). وفي رسالته إلى أهل رومية عندما أشار إلى كون اليهود أنسباء المسيح ذكر موضوع ألوهية المسيح فقال: "ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد" (رومية9: 5). كذلك نجد بولس يحث المسيحيين في مقاطعة فيلبي على اتباع مثال المسيح في التواضع والخدمة ويقول: "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا الذي إذ كان في صورة الله (أي مشاركا كليا في الطبيعة الإلهية أي الصفات التي يتمتع بها الله)، لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله (أي أنه لم يختر عن أنانية أن يبقى في تلك الحالة المباركة، بينما يظل البشر تحت وطأة الخطية والبؤس)، لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس، وإذ وُجِد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى

الموت موت الصليب" (فيليبي2: 5 – 8). وهكذا أصبح إنسانا قابلا لنفسه محدودية الطبيعة البشرية. قدم نفسه وهو الإله المتجسد كبديل عن شعبه، وهكذا أيضا أنجز عمله الخلاصي في حمله للعقاب المفروض على خطاياهم (ألا وهو الألم والموت بالنيابة عنهم). ويضيف: "لذلك رفعه الله أيضا" (أي أن المسيح الإله المتجسد رُفِع وليس المقصود هنا إضافة لطبيعته الإلهية، فهي كاملة لا ينقصها شيء، بل إن الطبيعة البشرية المتواضعة التي أخذها المسيح على نفسه هي التي أعطِيَ لها المجد والإكرام). ويتابع الرسول فيقول إن الله الآب "أعطاه اسما فوق كل اسم" ألا وهو اسم "يسوع" (أي مخلص) "لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان بأن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فيلبي2: 9 -11). (التعبير رب يدل هنا على الربوبية أو الألوهية المطلقة)، فإن أولئك الذين أوحَى إليهم الله بكتابة العهد الجديد أشاروا إلى المسيح بتعابير وأوصاف وأسماء العهد القديم نفسها التي استعملت بشأن الله، فهم أشاروا إليه كـ"أدوناي" وهو الاسم العبري الذي يعني "رب" وكلمة رب تستعمل أيضا عندما يكون الاسم العبري "يهوه" الذي يعني "الرب الإله".

عندما ننتقل إلى الرسالة إلى العبرانيين فإننا نجد أن الكاتب ينسب الربوبية والألوهية للمسيح، فيبدأ بالقول بأن الله كان قد كلم البشر في الأزمنة القديمة (أي في أيام العهد القديم) بواسطة الأنبياء مستخدما أساليب متنوعة، ثم يواصل فيقول بأن الله "كلمنا في هذه الأيام الأخيرة (أي حقبة العهد الجديد) في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء، الذي به أيضا عمل العالمين، الذي وهو وبهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي" (عبرانيين1: 1 – 3).

أما الرسول يوحنا، كاتب سفر الرؤيا فيخبرنا في معرض وصفه للمدينة السماوية المقدسة "أورشليم الجديدة" بأنها "لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها؛

لأن مجد الله قد أنارها والخروف سراجها" (سفر الرؤيا21: 23). والتعبيران "الله" و"الخروف" هنا هما مترادفان يتحدثان عن واحد وهو يسوع المسيح.

لقد قام جميع من أوحى إليهم الله بكتابة أسفار الإنجيل (العهد الجديد) بتسجيل تعاليم ومعجزات ومواعيد المسيح مفترضين واقع كلامه عن ألوهيته، وكانوا هم أيضا أعظم وأنسب وأصدق شهود لألوهيته إذ كانوا قد عرفوه عن كثب. قال عنهم المسيح: "وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء" (يوحنا15: 27). أما سجلات التاريخ منذ نشأة الكنيسة المسيحية فكلها تظهر أنهم قد قدموا شهاداتهم لسيدهم وربهم بكل أمانة، وكثيرون منهم استشهدوا في سبيل إيمانهم بالمسيح يسوع. وفوق شهاداتهم نجد شهادات أولئك المؤمنين الذين لم ينتسبوا إلى مجموعة رسل المسيح، فمثلا نجد قائد الكتيبة الرومانية التي أشرفت على الصلب، إذ أبصر المسيح مصلوبا أعلن قائلا: "حقا كان هذا الإنسان ابن الله" (مرقس15: 39). وأما الأبالسة (الكائنات الملائكية الذين سقطوا وأصبحوا شياطين) والذين كانوا على معرفة بعظمة المسيح الإلهية قبل تجسده، فإنهم عندما أمرهم المسيح بأن يخرجوا من الأشخاص الذين كانوا قد سيطروا عليهم، قالوا فيما هم خارجون: "ما لنا ولك يا يسوع ابن الله؟ أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟" (متى8: 29).

إن قيامة المسيح من الأموات هي البرهان القاطع الذي لا مهرب منه على كونه ذا طبيعة إلهية. لم يكن موت المسيح وقيامته رغم إرداته، بل على العكس كانا في نطاق قوَّته وخياره الثابتَيْن. عندما تكلم المسيح عن حياته قال: "ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضا" (يوحنا10: 18). وهو كان قد تنبأ مرارا عن قيامته من الموت قائلا: "وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم... ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم" (متى20: 19 ومرقس8: 31 و9: 31 و10: 33 – 34، ولوقا18: 33 و 24: 7). ويشير بولس إلى القيامة كبرهان جازم على لاهوت المسيح فيقول: "تعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رومية1: 4).

ثالثا: الألقاب وصفات المسيح الإلـهية

1- الألقاب المنسوبة للمسيح

"يسوع" هو الاسم الذي يعني مخلِّص أو منقذ وهو ما نسبه الملاك للمسيح عندما كشف حقيقة مجيئه لكل من يوسف ومريم. قال الملاك ليوسف: "وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (متى1: 21). وقال لمريم: "ها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع" (لوقا1: 31). "يسوع" هو الصيغة اليونانية للإسم العبري "يشوع" الذي يعني "يهوه هو الخلاص". أما وقد دُعي المسيح بـ"يسوع" فإن ذلك إنما عبَّر عن مركزية المهمة الخلاصية التي جاء لينجزها.

واسم المسيح يعني الممسوح وكان اللقب الرسمي للمخلِّص. وكثيرا ما استُعمل كاسم علم، وهو يأتي من الأصل العبري "مشيح" أي "مسيًّا" والذي أصبح "كريستوس" في اليونانية التي هي اللغة الأصلية للعهد الجديد. فاللقب "مسيح" يعني الممسوح من قبل الرب وهذا له أساس قوي ومتواصل في تاريخ الشعب العبري عندما كان يتم احتفال تتويج ملوكهم بالمسح بالزيت. (راجع صموئيل الأول9: 16و 10: 1 وسفر صموئيل الثاني19: 10). فالملك كان يدعى أحيانا "مسيح يهوه" (راجع سفر صموئيل الأول 24: 6). إذن لقب "المسيح" هو للتذكير بأن الملك هو من أعلى طراز، أما الاسم المركب "يسوع المسيح"، فالمقصود منه هو "المخلص الممسوح" أي المخلص المتمتع بأسمى مكانة من وجهة نظر الله.

تُبين لنا سجلات العهد الجديد حقيقة هامة هي أن يسوع تقبل من الناس ما أسدوا عليه من أسمى الألقاب؛ فقد سمح لهم بأن يَصِفوه بما يوصف به الله. وعندما مَنَع الآخرين من تقبُّل ألقاب مثل "المعلم" أو "السيد" (متى23: 8 -10) نجده قد قبل لنفسه بأن يُدعى بتلك الألقاب (يوحنا4: 31و 9: 2)، بل أنه أكثر من ذلك امتدح من أعطوه إياها إذ قال: "أنتم تدعونني معلما وسيدا وحسنا تقولون لأني أنا كذلك"

(يوحنا13: 13). وعندما كانوا يهيئون دخوله للقدس في موكب رسمي أرسل المسيح اثنين من تلاميذه ليأتيا بجحش وأمرهما بأن يقولا لصاحبه بأن "الرب محتاج إليه" (مرقس11: 3). ويدعى المسيح عبر صفحات العهد الجديد "سيدا" ليس بمجرد المعنى الذي فيه يقدم للبشر قسطا من السلطة والشرف أو المكانة، بل بمعنى كونه حقا السيد الأسمى ومطلق السيادة في ملكوته، وهو رب المسيحيين المؤمنين به مثلما كان اليهود يؤمنون بأن يهوه هو الرب في أيام العهد القديم.

قيل عنه في الإنجيل حسب لوقا2: 11 و 6: 5 "يولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب" و"ابن الإنسان هو رب السبت". وفي الرسالة إلى فيلبي 2: 11و 4: 5 "....يعترف كل لسان بأن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب"، ثم "الرب قريب".

في الرسالة الأولى إلى كورنثوس2: 8 لُقّب: "رب المجد" وورد في الإنجيل حسب متى15: 22 "ارحمني يا سيد"، وكتب بولس الرسول في الرسالة إلى رومية10: 9 "لأنك ان اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت". ومن سفر أعمال الرسل10: 36 "يُبشِّر بالسلام بيسوع المسيح. هذا هو رب الكل". ويضيف سفر الرؤيا في4: 8 و4: 11 و19: 16 ما يلي:
"قدوس، قدوس، قدوس الرب الإله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي"، "أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهي بإرادتك كائنة وخُلقت"، "وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب، ملك الملوك ورب الأرباب".

إذن يُقر الوحي المقدس بأن المسيحَ رب للجميع، للذين في السماء كما للذين على الأرض. له يجب أن تسجد جميع المخلوقات اعترافا بسلطانه المطلق. وحده له الحق فينا والسلطان علينا لأنه الخالق والفادي.

لقد استعمل الرسول بولس عادة اصطلاحا تقديميا في رسائله هو: "الله أبونا والرب يسوع المسيح" كشهادة إيمان مسيحية لله" (راجع الرسالة إلى رومية1: 7 والرسالة الأولى إلى كورنثوس1: 3 والرسالة الثانية إلى كورنثوس1: 2 والرسالة إلى غلاطية1: 3)، هذه الصيغة المركبة هي إشارة للإله الذي يعبده المسيحيون، وهي تشير لكل من الآب والابن في مساواة مطلقة. هكذا يتضح أن الآب والابن متحدان معا، دونما أي انفصال أو تفريق بينهما في وحدانية جوهرهما، ومع ذلك فإنهما يتمتعان باستقلال ذاتي؛ فبعض الأعمال تُنسب للواحد دون الآخر؛ مثلا في الرسالة إلى غلاطية1:1،4 نقرأ عن "يسوع المسيح والله الآب وربنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجل خطايانا"، أما البركة الرسولية فهي كما يلي: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين" (2كورنثوس13: 14)، ففيها يبقى اسم الرب يسوع المسيح مرتبطا في مساواة مطلقة مع اسمي الله الآب والله الروح القدس كمصدر لكل بركة روحية.

كانت قد نسبت أسماء متنوعة وكثيرة لله في العهد القديم نسبها العهد الجديد أيضا للمسيح؛ فالبشير متى عند تسجيله لولادة المسيح نسب إليه الاسم عمانوئيل إذ يقول: "وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (متى1: 22و 23). ففي نبوة إشعياء 7: 14 نقرأ "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل". في العهد الجديد يبرز المسيح كملكنا وفادينا في هيئة شخصية أزلية. ويقول الرسول يوحنا في معرض وصفه للرؤيا التي رآها عن عظمة المسيح المتسلط على كل شيء: "فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى عليَّ قائلا لي لا تخف أنا هو الأول والآخر، والحيّ وكنت ميتا وها أنا حي إلى أبد الآبدين! آمين، ولي مفاتيح الهاوية والموت" (الرؤيا1: 17 - 18). وفي نبوة إشعياء44: 6 نقرأ: "هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه، رب الجنود، أنا الأول وأنا الآخر،ولا إله غيري". وكما رأينا فإن يسوع المسيح يُدعَى "ربًّا" مرارا وتكرارا في العهد الجديد. لكن هذا الموقف لا ينفرد به العهد الجديد وحده؛ فالعهد القديم، في معرض التنبؤ عن المسيح، أشار إليه بوضوح أحيانا بنفس اللقب.

هذا ما نجده في مزمور110: 1 "قال الرب لربي، اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك" (قابل هذا بما ورد في الإنجيل حسب متى22: 44 حيث ينسب المسيح لنفسه تلك الإشارة في سفر المزامير). كذلك نقرأ في نبوة ملاخي3: 1 "ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه".

نسب العهد الجديد ليسوع اسم "الله" أكثر من عشر مرات (راجع يوحنا1:1 و18و 20: 28 ورسالة يوحنا الأولى5: 20 والرسالة إلى العبرانيين1: 8 ورسالة الرسول بطرس الثانية1: 1 وسفر أعمال الرسل18: 26 و20: 28 والرسالة إلى رومية9: 5 والرسالة الثانية إلى تسالونيكي1: 12 والرسالة إلى تيطس2: 13 والرسالة الأولى إلى تيموثاوس3: 16).

ما يتفق عليه علماء تفسير الكتاب من شتى المذاهب هو أن يسوع، حسب كتاب العهد الجديد، هو نفسه رب العهد القديم؛ فكتبة العهد الجديد ينسبون للمسيح تعابير من العهد القديم هي في أصلها كانت تشير إلى "أدوناي" أو "يهوه" اسمي الألوهية في العهد القديم. (قابل نبوة إشعياء40: 3 مع الإنجيل حسب مرقس 1: 3 ونبوة يوئيل2: 32 مع سفر أعمال الرسل2: 21 والرسالة إلى رومية10: 13 ونبوة إشعياء45: 23 مع الرسالة إلى فيليبي2: 10 .... قابل أيضا نبوة إرميا9: 24 مع الرسالة الأولى إلى كورنثوس1: 31 والرسالة الثانية إلى كورنثوس10: 17 ومزمور68: 18 مع الرسالة إلى أفسس4: 8، ونبوة إشعياء2: 19 مع الرسالة الثانية إلى تيموثاوس4: 14 وسفر الرؤيا22: 13).

علينا أن نلاحظ إذن بأن المسيح يدعى في العهد الجديد بالألقاب التالية:

في الإنجيل حسب متى:

"يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" 1: 21
"عمانوئيل ، أي الله معنا " 1: 23

"المسيح ابن الله الحي"	16 :16
"يسوع المسيح"	20 :16
"ابن الإنسان"	9 :17
"معلم"	10 :23

في الإنجيل حسب لوقا:

"يسوع الناصري، قدوس الله"	34 :4

في الإنجيل حسب يوحنا:

"الكلمة"	1 :1
"كل شيء به كان"	3 :1
"كُوِّن العالم به"	10 :1
"الابن الوحيد"	18 :1، 3: 16
"ابن الله"	34 :1 و49
"ملك إسرائيل"	49 :1
"المسيح مخلص العالم"	42 :4
"الخبز الحي"	51 :6
"الباب"	7 :10
"الراعي الصالح"	11 :10
"القيامة والحياة"	25 :11
"المسيح ابن الله الآتي إلى العالم"	27 :11
"الطريق والحق والحياة"	6 :14
"الكرمة الحقيقية"	1 :15

في سفر أعمال الرسل:

"القدوس البار" 3: 14
"رئيس الحياة" 3: 15
"مخلص" 5: 31

في الرسالة إلى رومية:

"إلها مباركا" 9: 5

في الرسالة الأولى إلى كورنثوس:

"قوة الله وحكمته" 1: 24
"رب المجد" 2: 8
"رأس كل رجل" 11: 3

في الرسالة الثانية إلى كورنثوس:

"صورة الله" 4: 4

في الرسالة إلى غلاطية:

"فادي" 3: 13

في الرسالة إلى فيلبي:

"رب" **2: 11**

في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس:

"رب الأرباب" **6: 15**

في الرسالة إلى العبرانيين:

"وارث لكل شيء" **1: 2**
"بهاء مجد الله ورسم جوهره" **1: 3**
"رئيس الخلاص" **2: 10**
"رئيس كهنة عظيم" **4: 14**
"رئيس الإيمان" **12: 2**
"وسيط" **12: 24**

في رسالة بطرس الثانية:

"المخلص" **1: 1**

في سفر الرؤيا:

"الرب الكائن" **1: 8**
"الكائن والذي كان والذي يأتي" **1: 8**
"القادر على كل شيء" **1: 8**
"الأول والآخر" **1: 17**

"الحي" 1: 18
"الألف والياء البداية والنهاية" 21: 6

2- الصفات المنسوبة للمسيح

نجد عبر صفحات العهد الجديد أن الخصائص والصفات الإلهية تُنسب تكرارا للمسيح، ذلك ليس على سبيل المجاملة كما في حالات امتداح أناس أتقياء، بل إن ما يُنسب إلى المسيح من صفات هو من النوع الذي لا يمكن أن يُنسب سوى إلى الله وحده. فيما يلي نتعرض لقائمة بتلك الصفات.

1- القداسة (الطهارة)

في الإنجيل حسب يوحنا 6: 69 نجد إقرارا مُهما أعلنه الرسول بطرس عن المسيح الذي آمن به: "أنت المسيح ابن الله الحي". وفي رسالته الأولى يقول بطرس عن سيده: "لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر" (2: 22). ويصرح الرسول بولس بدوره فيقول عن المسيح: "لم يعرف خطية" (2كورنثوس5: 21). أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فيقول في المسيح: "قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة..." (7: 26). وقد تحدث المسيح نفسه عن قداسته وكماله؛ ففي يوحنا 8: 29 يقول مشيرا إلى كمال أخلاقه وعصمته عن الخطأ بالنسبة لشريعة الله: "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه" وفي يوحنا8: 46 تحدى معارضيه الذين سعوا للتشكيك في نزاهته قائلا: "من منكم يبكتني على خطية". إضافة إلى ذلك فإن الإنجيل يحدثنا عن إقرار الشياطين ألدّ أعدائه فيقولون عنه: "قدوس الله" (مرقس1: 24). هذه كلها اعتبارات مهمة، خاصة وأن الكتاب المقدس لا يسمح بأن تُضفى صفات من الكمال كهذه على أي من خلائق الله.

2- الأزلية

مقدمة الإنجيل حسب يوحنا لها مقامها الفريد من جهة الكشف عن أزلية المسيح؛ ففي العدد الأول نرى تعريفا مهما للمسيح ككلمة الله المتجسد: "في البدء كان الكلمة"، وفي نفس الإنجيل هناك تصريحات واضحة على فم المسيح نفسه عن أزليته، فيقول عن نفسه: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يوحنا8: 58)، ثم في صلاته الشفاعية الخاصة صلى المسيح للآب قائلا: "مجدني بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يوحنا17: 5)، "لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم" (يوحنا17: 24). بالإضافة إلى هذا نجد مضمون النبوات التي تحدثت عن المسيح في أسفار أنبياء العهد القديم قبل مجيئه بمئات السنين؛ فالنبي إشعياء دعاه في سفره "أبا أبديًّا" (9: 6). والنبي ميخا قال عنه: "مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (5: 2). إذن المسيح هو ملك جميع الدهور.

3- مصدر الحياة – خالقها ومبدعها

تطرق الوحي الإلهي إلى وصف المسيح في الإنجيل حسب يوحنا كما يلي:

- **فيه كانت الحياة (1: 4).**
- **أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي (14: 6).**
- **أنا هو القيامة والحياة (11: 25).**
- **لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة في ذاته (5: 26).**

فليس المسيح إذن مجرد مصدر للحياة فحسب، بل إنه هو الحياة الحقيقية ذاتها.

4 – الثبات المطلق وعدم التغيّر

توجز الرسالة إلى العبرانيين وتحسم الأمر هكذا: "يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد" (13: 8).

"وأنت يا رب (إشارة إلى المسيح) في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك، هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى" (عب1: 10 – 12).

5- المقدرة المطلقة على كل شيء

لم يتردد الرب يسوع المسيح مطلقا في الكشف عما لديه من قدرة وجبروت في الوقت المناسب. هذا لا يقتصر على مجرد إنجاز المعجزات والعجائب، بل أيضا تصريحاته عن هذا الموضوع التي لا غموض فيها: "دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض" (متى28: 18)، "كل شيء قد أعطي إليَّ من أبي" (متى11: 27).

كما كتب الرسول بولس بوحي من الروح القدس في رسالته التعليمية إلى المؤمنين في أفسس: "وأخضع (أي الله الآب) كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأسا فوق كل شيء للكنيسة" (أفسس1: 22). أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فيعرِّف المسيح هكذا: "....حامل كل الأشياء بكلمة قدرته...." (1: 3). وفي سفر الرؤيا يخبرنا الوحي أن المسيح هو "الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء" (1: 8). والنبي إشعياء تنبأ عنه قائلا: "إلها قديرًا" (إشعياء9: 6).

لكن الأمر لم يقتصر على مجرد إعلانات، إنما ما قيل في المسيح، سواء على فمه هو أو على فم غيره بوحي من الله، كان دائما مدعما بالأعمال الخارقة للطبيعة، والتي أجريت علنا وشهد لها الجميع، الأصدقاء والأعداء على السواء؛ فقد أقام الموتى (راجع يوحنا11: 43و 44 ولوقا 7: 14)، وكشف أنه هو الذي سينجز عملية القيامة الأخيرة لجميع الأموات عندما قال: "فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (يوحنا5: 28و 29).

6- العلم المطلق بكل شيء

قال التلاميذ للرب يسوع المسيح: "الآن نعلم أنك عالم بكل شيء...." (يوحنا16: 30). والإنجيل المقدس يكشف لنا حقيقة علم المسيح بما يجري في عقول وأفئدة البشر؛ فعندما صرح للمفلوج بغفرانه لمعاصيه كشف في نفس الوقت عن الاشمئزاز الصامت لمعارضيه بتصريحه هذا: "فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم" (متى9: 4).

وهذا ما يسجله أيضا البشير يوحنا:

"لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه لأنه كان يعرف الجميع، ولأنه لم يكن محتاجا أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان" (2: 24و 25).
"لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذي يسلمه" (6: 64).
"فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه" (18: 4).

وورد في رسالة بولس إلى المؤمنين في كولوسي أنه ".....المدَّخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (2: 3). وقال المسيح عن نفسه: "وليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن" (متى11: 27). إن ما يكشف عنه المسيح هنا هو في غاية الأهمية؛ فهو يفهمنا حقيقة أمر تفهم ألوهيته من الأساس، ذلك أن ذاته وكيانه اللاهوتيين هما على درجة شاهقة من العظمة حتى أنه لا يمكن لأحد غير الله نفسه استيعابهما. ليس ذلك فقط بل أوضح المسيح لنا من جهة أخرى بأن طاقة معرفته اللاهوتية هي غير محدودة، كمعرفة الله الآب الكاملة والتامة.

من هذا يتضح أن الإنجيل كشف وأكد بكل وضوح أن يسوع كان يتمتع بعلم وحكمة لا حدود لهما. قال أحد المفكرين بهذا الأمر: "إن أعظم الدلائل على قدرة المسيح

الخارقة في فحص وتحليل وقراءة ما يتضمنه قلب الإنسان من أسرار، هي ما كشف عنه بخصوص كل من نثنائيل والمرأة السامرية وتلميذه الخائن يهوذا وتلميذه المغرور بنفسه بطرس. لقد أخبر المسيح وأشار إلى وقائع المستقبل فتحدث عن موته وقيامته وعودته إلى الأرض". إن مسيرة التاريخ كانت مفتوحة أمام عينيه، فهو قد تتبع متضمنات ما سبق وصار، وهو رأى مسبقا الأعمال المعجزية الخارقة التي كان سينجزها تلاميذه، كما أنه أخبر عن هزيمة إبليس العتيدة وانتصار ملكوت الله الذي يلازم ذلك. فالأرض والسماء، الأزل والأبد، الله والإنسان، كل شيء مكشوف أمام عينيه.

7- الوجود الكلي الذي لا يحده مكان ولا زمان

عرَّفت بشارة يوحنا المسيح على أنه "الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب" (1: 18). في ذلك تأكيد ليس فقط على أن المسيح ذو علاقة لاهوتية مباشرة بالله، بل أيضا هنالك تشديد على أنه بالرغم من تجسده ووجوده على الأرض بين البشر فإن صلته الوثيقة ولحمته الحميمة مع الله بقيت دون تغيير أو تحوير. فعند تجسده لم يكن يعبِّر عن مجرد علاقته السابقة بالله، أي أنه كان مع الله، بل أنه بقي أيضا مع الله. هذا في الواقع ما يعنيه العدد الأول من بشارة يوحنا والذي يقول دون إبهام: "في البدء كان الكلمة (أي المسيح) والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله". فالمسيح إذن كان مع الله وبقي عند تجسده في صورة بشرية "كائنًا" مع الله. ويُلقي يسوع نفسه ضوءا على تلك الحقيقة في قوله: "وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء" (3: 13). قال المصلح الشهير يوحنا كالفن بصدد هذا النص من الإنجيل: "المسيح تجسد ولكنه لم يُحصَر أو يُحجَز ولم تقل قيمته، فابن الله نزل من السماء بطريقة معجزية خارقة للطبيعة في نفس الوقت الذي فيه بقي موجودا في السماء. لقد اختار أن يولد من عذراء بطريقة عجيبة لكي يعيش على الأرض ويُعلَّق على الصليب، لكنه في الوقت ذاته لم يكُف عن أن يملأ الكون بوجوده كما كان الكون مُعَمَّرا بوجوده منذ البداية".

ثم إننا نلاحظ بأن المسيح نفسه قد كشف عن حقيقة وجوده الكلي وغير المحدود عندما قال: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" (متى18: 20). وكذلك في قوله: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (متى28: 20). إن هذا النص الأخير ورد على لسان يسوع عندما كان مجتمعا برسله على جبل الزيتون بعد قيامته من الأموات. وهو هنا يطمئنهم ويؤكد لهم استمرارية وجوده وقوته معهم، حتى أنه أزاح الستار على أن تأثيره عليهم ومعهم لن يكون تأثير معلم أو نبي ميت ومقبور، بل هو تأثير من هو حاضر وحي أبدا. أما كونه موجودا في كل مكان فهذا يعني بأنه يبقى دائما قريبا وسهل المنال قادرا على حماية وتعزية شعبه حتى لا يصيبهم أذى أو أسَى، غير ما يراه هو ويسمح به، لأجل صالحهم ومنفعتهم. إنها لحقيقة عجيبة التي يبرزها لنا الإنجيل المقدس بأن حضور المسيح مع تلاميذه بعد قيامته من الموت كان أكثر وضوحا من وجوده الجسماني قبل موته، فبعد قيامته أصبحت قناعتهم وعلاقتهم به قوة انتصارية دافعة، بينما كان اعتبارهم له قبل موته دائم التأرجح والتشكك. وقد أشار الرسول بولس إلى حقيقة وجود المسيح المطلق في كل مكان على هذا النحو: "الذي يملأ الكل في الكل" (أفسس1: 23).

8- الخلق

مرة أخرى نجد أن الإنجيل حسب يوحنا يقدم المسيح تقديما واضحا ومختصرًا ومفيدًا: "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (1: 3) – "كُوِّن العالم به" (1: 10). كما أن ما أوحى به الروح القدس عبر كتابة الرسول بولس ليس أقل شأنا في الشهادة للمسيح الخالق: "فإنه فيه (في المسيح) خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض، ما يُرَى وما لا يُرَى، سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل" (كولوسي1: 16 و17). أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فكتب عن الأمر مذكرا بما كان أنبياء العهد القديم قد سبق وقالوه عن المسيح القادم إلى العالم: "وأما عن الابن (فقال الله على لسان داود) كرسيك يا الله إلى دهر الدهور..." (عبرانيين1: 8). وهذا كان قد ورد في المزمور45:

6. وفي (1: 10) يتابع كاتب الرسالة إلى العبرانيين اقتباسه من أقوال الأنبياء عن المسيح: "وأنت يا رب في البدء أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك، هي تبيد ولكن أنت تبقى..." وهذا ما ورد في مزمور102: 25. وكاتب هذه الرسالة هنا سعى ليس لمجرد تذكيرنا بما قاله العهد القديم في المسيح بل أيضا لإيقافنا على حقيقة كون العهد القديم يقول في المسيح ما لا يقال سوى في الله بالذات، فهو كان قد سبق وقال في المسيح: "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عبرانيين1: 3) وهذا ما ينطبق تماما على ما ورد في رسالة الرسول بولس الأولى إلى المؤمنين في كورنثوس: ".... ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء" (8: 6).

لقد كتب بصدد هذا الموضوع أحد كبار المفكرين المسيحيين يقول: "يخبرنا الكتاب المقدس بأن المسيح هو خالق الكون بأسره، ما هو منظور وما هو غير منظور. هذا لا يتضمن فقط ما في الكون الطبيعي والمادي من شموس ونجوم لا تُحصى، بل أيضا جميع أنواع الحياة الشخصية بما في ذلك الملائكة والبشر. الجميع مدينون له بوجودهم، وهو يشرف على كافة أرجاء الكون، حاميا بنيته من التفكك والانحلال والخراب". وتفيدنا كلمة الله بأن المسيح هو مصدر كل الأشياء، ما يُرَى وما لا يُرَى، وهو الغاية النهائية لكل الخليقة. إذن ليس المسيح هو خالق كل الأشياء فقط بل إنها جميعا خلقت لأجله هو، فهو الآخر كما هو الأول، وهو النهاية كما هو البداية.

9- السلطان والحق في مغفرة الخطايا

عندما شفى يسوع المفلوج وغفر له خطاياه تململ الكتبة متسائلين في قلوبهم: "لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف. من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده" (مرقس2: 7)، لكن يسوع عرف ما في قلوبهم وبادرهم قائلا: "ولكن لكي تعلموا أن لابن الانسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا...." (مرقس2: 10). وأما المفلوج فقد أمره يسوع، بعد أن غفر له خطاياه، أن يحمل سريره ويذهب إلى بيته. وهكذا فإننا نرى أن المسيح ربط ما بين صلاحيته لمغفرة خطايا البشر وقدرته الإلهية على شفاء أمراضهم. وهو لم يتكلم عن مجرد السلطة على مغفرة خطية الآخرين، بل أكد أنه هو نفسه البديل

الذي يحمل عقاب الخطية عنهم. وأعلن لتلاميذه بعد قيامته من الموت "بأن يُبشَّر (يُكرَز) باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم" (لوقا24: 47). أما شهادة يوحنا المعمدان، الذي جاء ليمهد الطريق لمجيء المسيح، فقد كانت واضحة وجلية أمام الجميع: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا1: 29)، والرسول بطرس بشر الأمم قائلا: "له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا..." (أعمال الرسل10: 43)، وكتب بولس الرسول بدوره: ".... لنا فيه الفداء، بدمه غفران الخطايا.." (كولوسي1: 14). وكتب الرسول يوحنا في رسالته الأولى: "ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (1: 7). ليسوع المسيح إذن المقدرة على مغفرة خطايا الآخرين لأنه هو نفسه كان مزمعا أن يدفع ثمن ذلك الفداء الثمين.

10- مؤسس الخلاص

لدينا مجموعة نصوص في الكتاب المقدس تعلّمنا بأن المسيح هو مؤسس ومنبع الخلاص، وهذه النصوص وضعت بقوة وسلطان لتدعو الناس إلى الإيمان الحق بالإله الحقيقي الوحيد، وغاية الإيمان الحياة الأبدية. وورد في الإنجيل حسب يوحنا3: 36 ما يلي: "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله". هذه شهادة يوحنا للمسيح أنه في الإيمان الخلاص وفي الخلاص الحياة الأبدية، كما أجاب بولس وسيلا على رغبة سجانهما المتلهفة لمعرفة الحق: "آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك" (أعمال16: 31). أما المسيح نفسه فكلماته لم تكن أقل وضوحا بهذا الشأن إذ قال: "أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي" (يوحنا14: 1).

يؤكد يوحنا أيضا أن المؤمنين يرثون الحياة الأبدية، ولم يكن هذا ليحدث لولا محبة الله الآب. "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية... الذي يؤمن به لا يُدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يوحنا3: 16و 18). ويخبرنا يوحنا أيضا بلسان الرب يسوع المسيح عن السبب الجوهري للإيمان. فما هي المحبة وما هو الخلاص والحياة الأبدية

إن لم يؤكد لنا يسوع أنه حي إلى الأبد؟ فالإيمان به هو الأمل الوحيد للانتصار على الموت، حيث يصرح لنا السيد بهذا البيان الجبار كما ورد في يوحنا11: 25 و26 وهو كما يلي: "أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد..."

إذن فالإيمان بالمسيح هو مرتبط تماما بالإيمان بالله، وكلمة الله لا تفرق بينهما، ففي الإنجيل حسب يوحنا12: 44 يأتي قول المسيح: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني"، وفي6: 28 – 40 من نفس الإنجيل المقدس ترد هذه العبارات: "فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟ أجاب يسوع وقال لهم: "هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله... أنا هو خبز الحياة، من يُقبل إليَّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدا.... لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير." كذلك ورد في يوحنا 15: 5و6 على لسان يسوع ما يلي: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا. إن كان أحد لا يثبت فيَّ يُطرح خارجا كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق". وأيضا في10: 9 من نفس الإنجيل يقول: "أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى". وفي10: 27و 28 يقول: "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي". أما الصلاة الشفاعية المدوَّنة في يوحنا17: 3 ففيها قال السيد: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته".

راجع أيضا هذه الآيات ذات السلطة الفائقة التي وردت في الإنجيل حسب متى:

- **"كل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبي الذي في السماوات" (10: 32).**
- **"وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يُعلن له" (11: 27).**

- "تعالوا إليَّ يا جميع المُتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (11: 28).

ومن يوحنا8: 24 التالي: "إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم".
ومن أعمال الرسل4: 12، "وليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر قد أعطِي بين الناس به ينبغي أن نَخلُص".
ومن سفر الرؤيا2: 10، "كن أمينا إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة".

إن اسم "يسوع" هو من مصدر إلهي وهو يعادل "يشوع" بالعبرية ومعناه "يهوه المخلص" أو "الله هو المخلص"؛ فقبل أن يأتي المسيح إلى عالم البشر وصفه الملاك الذي بشَّر به هكذا: "تدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (متى1: 21)، حتى أن يوحنا الرسول طرح بوضوح القصد الحقيقي من كتابته في قوله: "وأما هذه (أي الأمور المختصة بيسوع) فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يوحنا20: 31).

إن هذه النصوص تحمل في طياتها أعظم وأثمن وأكرم التعهدات. إنها لا تدع مجالا للشك في أن الإيمان بالمسيح أمر ضروري للخلاص، وأنه بمعزل عنه لا يوجد أمل في الخلاص. إنه من المستحيل لأيٍّ كان من كان، الإتيان بتصريحات ساطعة وباهرة كالتي صرح بها الرب يسوع المسيح بخصوص شخصيته وتأثيره على حياة الآخرين. لقد قال أحد عظماء اللاهوتيين بهذا الشأن ما يلي: "من الواضح أن الله بالذات في عدم محدوديته لا يسعه أن يعد ولا أن يقدم شيئا أعظم قدرا ولا أسمى منزلة مما يهب المسيح لشعبه، فهُم موجَّهون للتطلع إليه كمصدر كل بركة وواهب كل عطية صالحة وخالصة الكمال. إنها لأروع الصلوات وأكثرها تعبيرا تلك التي ختم بها الوحي الإلهي الرسالة إلى مؤمني مقاطعة غلاطية والتي تقول: "نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم أيها الأخوة آمين".

11- موضوع الصلاة والعبادة

نقرأ بوضوح في الإنجيل عن مناسبات عديدة سجد فيها البشر للمسيح وعبدوه؛ فالبشير متى يذكر عن المجوس (حكماء المشرق) عندما أرشدهم الله إلى مكان ولادة مخلص البشر في بيت لحم بفلسطين، أنهم: "خرّوا وسجدوا له" وذلك بمجرد رؤيتهم للطفل يسوع (متى2: 11). وعندما مشى المسيح على الماء فالذين كانوا في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين: "بالحقيقة أنت ابن الله" (متى14: 33)، كما سجدت له أيضا المرأة الكنعانية قائلة: "يا سيد أعني" (متى15: 25)، وكذلك تلاميذه عندما ظهر لهم في الجليل بعد قيامته مكتوب: "فلما رأوه سجدوا له" (متى28: 17).

ويذكر البشير لوقا عن صعود المسيح إلى السماء أنه "انفرد عنهم وأصعد إلى السماء فسجدوا له" (24: 51و 52).

أما يوحنا فيخبرنا عن سجود الأعمى للمسيح بعد أن أعاد إليه بصره وأمره بالاغتسال في بركة سلوام (9: 38)، وأيضا عن تلميذه توما عند رؤيته لسيده بعد قيامته من الموت إذ سجد له قائلا: "ربي وإلهي" (20: 28)، وهو هنا لم يكتف بالسجود له بل أشار إليه كإلهه وربه الذي يتعبد له. والجدير بالذكر أن المسيح لم يوبخه على ما تكلم به، بل أن هؤلاء الناس من تلاميذ وأناس عاديين ومن كانوا بحاجة إلى شفاء من مرض أو علة جسدية، جميعهم قد تساووا في السجود له معترفين بذلك بألوهيته؛ ففي كافة الظروف والمناسبات لم يعترض يسوع المسيح بتاتا على سجود البشر له وعبادتهم إياه، بل تقبل تلك المواقف البشرية كأمور ضرورية ولائقة به.

علاوة على ذلك فقد أعطى يسوع شهادات مهمة جدا تتعلق بألوهيته وباستحقاقه للعبادة، وإذ أراد من المؤمنين به أن يضعوا ثقتهم به ويتكلوا عليه اتكالا كاملا في كل أمور حياتهم، جاءهم بهذا التأكيد قائلا: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" (متى18: 20)، وكذلك قبل صعوده إلى السماء قال لهم: "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر".

إن تصريحات كهذه لا يمكن أخذها إلا من منطلق رغبة المسيح في الكشف عن ألوهيته؛ فمَن غَيرُ الله يستطيع أن يكون في كل مكان؟ من هنا كانت محتويات أسفار العهد الجديد ومواقف الكنيسة المسيحية الرسولية الأولى التي اتفقت في إصرارها على تقديم الإكرام والعبادة – المختصَّيْن بالله وحده – ليسوع المسيح: "لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب" (يوحنا5: 23). والمؤمنون عبَّروا عن ذلك، ليس أثناء ظروف حياتهم العادية فحسب، بل حتى تحت أشد ويلات الاضطهاد، كما دعا في صلاته القديس اسطفانوس عندما استشهد لأجل مناداته بإنجيل المسيح: "أيها الرب يسوع اقبل روحي" (أعمال الرسل7: 59).

إن السجود والتعبد للمسيح هما من ركائز المناداة بالإنجيل ومن المتطلبات الرئيسية للذين ينتمون للمسيح ويتمتعون بخلاصه. من هنا طُرح في الإنجيل أهم الأسئلة إطلاقا: "ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟" وقد وردت عليه ردود كثيرة جميعها تفيد بضرورة الإيمان بالمسيح والتعبد له. وفيما يلي نسرد بعضا منها:

- **"آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص" (أعمال الرسل16: 31).**
- **"إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" (رومية10: 9).**
- **"لأن كل من يدعو باسم الرب يسوع يخلص" (رومية 10: 13).**
- **"لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة.... ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فيلبي2: 10و 11).**
- **"لتسجد له كل ملائكة الله" (عبرانيين1: 6).**

ثم إن هناك التصريحات الرسولية التي يصعب حصرها والتي سجلها الوحي الإلهي، وكلها تؤكد على ربوبية المسيح وعلى كونه جديرا بأن يُعبَد، نورد منها على سبيل المثال ما يلي:

- **"ربنا ومخلصنا يسوع المسيح" (2بطرس3: 18).**

- "مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة" .. "للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين" (رؤيا5: 12و 13).

لقد شدد الرسول بولس على عقيدة الربوبية في بداية كل رسالة كتبها وهو دائما يذكر الاسمين "ابن الله" و"الرب يسوع المسيح" بطريقة عفوية على أساس كونهما متساويين في إشارتهما لألوهية المسيح، فإن الرب يسوع المسيح ابن الله هو الذي يهب النعمة والسلام. ومع ذلك فإن بولس لم يدع مجالا للشك في أنه كان متمسكا بوحدانية الله، فهو يقول: "ليس إله آخر إلا واحدًا"، (1كورنثوس8: 4). هذا هو الإله الوحيد الذي قدم بركته للمؤمنين بواسطة ما يعرف بالبركة الرسولية ألا وهي: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين" (2كورنثوس13: 14). وما هذه سوى صلاة موجهة إلى المسيح لأجل نعمته وإلى الآب لأجل محبته وإلى الروح القدس لأجل شركته المقدسة.

هذه الحقائق التي يضعها الوحي الإلهي بين أيدينا لا يوجد تفسير مفهوم لها سوى ذلك الذي تمسكت به الكنيسة المسيحية عبر العصور، أي أن الله هو في ثلاثة أقانيم هم جميعا واحد في الجوهر ومتساوون في القدرة والمجد.

لكننا إذا قارنا تلك التعابير الإنجيلية – التي تنسب الصلاة والعبادة للمسيح – مع الأخرى التي تُبرز وحدة الله وجلاله والمجد الذي ينفرد به دون سواه، لا يكون أمامنا مفر من التسليم بأن الوحي الإلهي إنما يكشف عن أن العبادة هي لإله واحد، وأن المسيح هو في نفس الوقت موضع عبادة وثقة المؤمنين. فكلمة الله تقول: "التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض، لأني أنا الله وليس آخر" (إشعياء45: 22)، ثم تقول: "..... ليس إله آخر إلا واحدًا" (1كورنثوس8: 4)، وجاء أيضا في نبوة إرميا17: 5 "ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه". إضافة إلى ذلك هناك تصريحات الوحي الإلهي الكثيرة التي تدين الوثنية والتعبد لغير الله. من هنا

كان الأمر بسيط للغاية، فهي واحدة من اثنين: إما أن ألوهية المسيح التي يعلّمها الكتاب المقدس هي حق، وإما أن الكتاب المقدس هو مضلل وليس من الله.

إن كلمة الله تضع اعتراف الإنسان بألوهية المسيح والارتكان له والاتكال عليه، اتكالا مطلقا كالمخلص الوحيد، على مرتبة عالية جدا من الأهمية، وهذا الاعتراف اعتبر دليلا على صدق انتماء الفرد لله.

12- ديان كل البشر

إن موضوع الدينونة النهائية يشغل مكانا مهما ضمن تعليم يسوع المسيح؛ فهو لم يشدد على أن دينونة البشر واقعة فحسب، بل أكد على أن المسيح هو بالذات الذي سيقوم بدور الديان، فهو الذي سيصدر الأحكام النهائية على كل الناس وهو الذي يقرر المصير الأبدي لكل منهم. لقد قال: "لأن الآب لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب.. إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون... فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يوحنا5: 22 – 29).

ربما يكون الفصل الخامس والعشرون من الإنجيل حسب متى أهم نص في الوحي الإلهي فيما يخص التعليم عن نهاية العالم، وهو يوجه أنظارنا إلى كون المسيح الملك الديان، فيقول: "متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميِّز بعضهم من بعض كما يميِّز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره، ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم.... ثم يقول أيضا للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته.. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية" (عدد31 – 46).

لقد أكد الرب يسوع المسيح على تلك الحقيقة، بكونه الرب الديان الذي بيده مصير البشر، منذ بداية خدمته الجمهورية؛ فعندما ألقى عظته الرسمية الافتتاحية لتلك الخدمة (المعروفة بالموعظة على الجبل) فإنه قال لجماهير مستمعيه: "ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرِّح لهم إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (متى7: 21 – 23).

وقد أفادنا رسل المسيح أيضا بالحقيقة عينها، فالرسول بطرس قال عن يسوع: "هذا هو المعيَّن من الله ديَّانًا للأحياء والأموات" (أعمال الرسل10: 42). والرسول بولس قال: "لأنه لابد أننا جميعا نُظهَر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا" (2كورنثوس5: 10). وهذه لم تكن قناعات الرسل فحسب بل إن الكنيسة المسيحية تمسكت بها مضيفة إياها إلى لائحة معتقداتها الأساسية، إذ قد ضمَّنت منذ البداية أن المسيح آت لدينونة جميع البشر.

خلاصة القول إنه من الواضح أن الرب يسوع عبر مختلف نشاطاته لم يتردد في أن ينسب إلى نفسه أسمى امتيازات الألوهية؛ فهو لم يقم بعمل ذلك فحسب بل إنه رحب بما نسبه له الآخرون من ميزات الربوبية وألقابها الجوهرية مثل: القداسة، والأزلية، والسلطان على مغفرة الخطايا، والقدرة على افتداء حياة الناس، والحق في أن يُصلَّى إليه ويُعْبَد، وسلطان الحكم النهائي على مصير البشر.

رابعا: وجود المسيح الأزلي قبل التجسد

في سلسلة من الإعلانات المتتابعة والهامة جدا يبلغنا السيد أمورا جوهرية عن نفسه. لقد حرص كل الحرص على أن يعرفنا بأن وجوده لم يبدأ عند ولادته في بلدة بيت لحم، إنما هو "أتى" أو "نزل" من السماء إلى الأرض، وأنه "أرسل من قِبَل الآب"؛ فمن الواضح أنه كان موجودا قبل ذلك. تلك الإعلانات التي نحن بصددها لا تمثل مجرد

شهادة فريدة لمهمته الإلهية على الأرض، بل إنها تشهد أيضا لأصله السماوي. إنها تقدم لنا المسيح ليس فقط كأعظم بني البشر بل كمن سبق وجوده عملية تجسده. إن إشارات أزليته وسرمديته هي واضحة، وتؤكد أنه لم يكن لوجوده بداية ولن تكون له نهاية. إنه هو البداية والنهاية. إن تصريحات الرب يسوع هذه نبعت عن وعيه وإدراكه لوجوده الأزلي. هذه القناعة عنده لم تكن في حاجة لأي دعم يتعدى ذلك القادم "من السماء" أو "من الآب". أما تلك الحقيقة فيدعمها الاستعمال الدائم للقب "ابن الإنسان" ضمن تلك الإعلانات، ذلك اللقب الذي استنتجنا منه سابقا، بأنه يشير فيما يشير إلى وجود المسيح السابق للتجسد، وهكذا أصله البشري والأرضي. وهذا ما يفسر لنا كلام المسيح للبشر عن الأمور الروحية السامية طالبا إليهم أن يكيِّفوا حياتهم بمقتضى تعاليمه الهامة. وهذه بعض النصوص الكتابية التي تدعم ما أتينا على ذكره:

- **لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكَمِّل (متى5: 17).**
- **لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض. ما جئت لألقي سلاما بل سيفًا، فإني جئت لأفرِّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها، والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته (متى 10: 34- 36). ليس المقصود هنا أن يوجد الخصام بحد ذاته، بل أن حياة الإيمان الجديدة تتسبب في عداء ومعارضة لأصحابها لدرجة أنهم يصبحون منبوذين من قِبَل أهلهم ومجتمعهم غير المؤمن.**
- **لنذهب إلى القرى المجاورة لأبشر هناك أيضا، لأني لهذا خرجت (مرقس1: 38).**
- **لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة (مرقس2: 17).**
- **لأن ابن الإنسان أيضا لم يأت ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين (مرقس10: 45).**
- **لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلِّص ما قد هلك (لوقا19: 10).**

ومن بشارة يوحنا النصوص الكتابية التالية:

- **ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء (3: 13).**
- **الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع والذي من الأرض هو أرضيٌّ ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع – وما رآه وسمعه به يشهد.. لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله (3: 31 – 34).**
- **فإن رأيتم ابن الإنسان صاعدا إلى حيث كان أولا (6: 62).**
- **لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب.... لأني لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني (8: 14، 16).**
- **أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم (8: 23).**
- **خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضا أترك العالم وأذهب إلى الآب (16: 28).**

وتجدر الملاحظة بأن يسوع المسيح لم يصرِّح فقط عن وجوده قبل مجيئه إلى العالم، بل أيضا بأنه كان موجودا منذ الأزل. هذا ما نراه في النصوص الإنجيلية التالية حسب يوحنا:

- **قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن (8: 58).**
- **والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم (17: 5).**
- **.....لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم... (17: 24).**

هنا نجد دلالة قاطعة بأن علة وجوده هي من ذاته وليست من مصدر خارجي. هذا ما يذكِّرنا بما ورد في التوراة في سفر الخروج3: 14 "أهيه الذي أهيه" وهو تعبير يشير إلى عظمة الله وجلاله وليس فقط إلى وجوده. "أهيه" أو "يهوه" هو الاسم العبري لله والمترجم في العربية بـ"الرب". والترجمة الحرفية للتعبير "أهيه الذي أهيه" هي: "الكائن الذي هو كائن". وهو الاسم الذي يشدِّد على كون الله هو وحده

الكائن الأزلي بمطلق ما في ذلك من تعبير؛ فهو وحده الذي يتصرف بحرِّية واستقلالية مطلقتين. هذا ما أراد الله أن يعرِّف نفسه به لعبده موسى. ويسوع هنا ينسب لنفسه ذات الاسم "الكائن الذي هو كائن"، أي الله الكائن بذاته منذ الأزل بحرِّية واستقلالية مطلقتين. نجد نفس المعاني فيما ينسبه سفر الرؤيا للمسيح حيث يتكلم يوحنا الرائي على لسان يسوع فيقول: "أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر" (سفر الرؤيا22: 13).

لم يكشف يسوع إذن عن وجوده السابق للتجسد فحسب، بل إنه أيضا كشف عن أن ذلك الوجود هو أزلي. هذا يطابق تماما بيانات الآخرين عنه في الإنجيل (العهد الجديد)، فيوحنا المعمدان قال عن المسيح: "يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي" (يوحنا1: 30). بالطبع لم يكن المقصود هنا أن يسوع وُلِد قبل يوحنا المعمدان؛ لأن يوحنا كان قد وُلِد قبل يسوع ببضعة أشهر، ولكن المقصود بالتعبير "صار قدامي" الإشارة إلى رتبة المسيح الأكثر سموا وارتفاعا عن رتبة يوحنا. هذا ما قصد به تماما استعمال تعبير "الكلمة" في إشارة الإنجيل المبدئية إلى المسيح كما ذكرها البشير يوحنا. فهو ذو الكيان السابق المعادل للآب من جهة كل شيء بما في ذلك عملية الخلق. يسوع المسيح هو الأساس الذي "صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا" (يوحنا1: 14).

أما بولس الرسول فيعطينا ما يمثل قمة الحق الإلهي المكشوف للبشر فيقول: "فيه (أي في المسيح) خُلِق الكل، ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرَى وما لا يُرَى سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلِق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل" (كولوسي1: 16و 17). وكتب بولس أيضا إلى تلميذه تيموثاوس عن المسيح قائلا: "الله ظهر في الجسد" (1تيموثاوس3: 16).

أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فيقول: "يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد" (عبرانيين13: 8). فالمسيح بقي "هو هو" دون تغيير رغم كل تغيير طرأ على

غيره. "هو هو" في هذا الجيل الحاضر كما في الماضي القريب أو البعيد. "هو هو" في المستقبل أيضا. في المسيح الثابت هذا، الذي لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران، يجد المؤمن سنده وملجأه الأبدي الأكيد.

هذه الحقائق لا تقتصر على كتابات العهد الجديد (الإنجيل)؛ فهناك نبوءات كتب الأنبياء في العهد القديم بخصوص المسيح المنتظر، والتي سبقت مجيئه بمئات السنين. تلك النبوءات لم تتحدث عن مجرد ولادته المتوقعة كإنسان كامل، بل إنها أيضا أكدت حقيقة وجوده قبل مجيئه إلى الأرض. كما أنها أظهرت أن وجوده السابق يرجع إلى الأزل قبل أن يوجد الزمن نفسه. هذا ما وضحه النبي ميخا الذي كتب سفره قبل مجيء المسيح بحوالي سبعمائة عامٍ؛ ففي معرض نبوته عن مكان مولد المسيح يقول: "أما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (ميخا5: 2). والنبي إشعياء، الذي عاش في نفس الفترة التي عاش فيها النبي ميخا، تحدث واصفا ذلك المسيا (المسيح المنتظر) فقال إن اسمه يكون "عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام" (إشعياء9: 6).

يبرز يسوع المسيح عبر كل التاريخ البشري كالمنتظر مجيئه قبل مئات السنين. لم تكن هناك نبوءات ولا توقعات لغيره من الشخصيات التاريخية، لأنه لم يكن كالإسكندر الكبير أو نابليون أو جورج واشنطن أو غيرهم من القادة الذين لم ينتظرهم أحد في أوقات وأماكن ظهورهم. وحتى قبل وجود الأنبياء أنفسهم أعطى الله الوعد بمجيئه، فبمجرد أن سقط أبوانا الأولان آدم وحواء في خطية العصيان وكسرا وصية الله، جاء الوعد بقدوم المخلص؛ فقد أخبر الله إبليس المتمثل بالحية الخادعة بأن نسل حواء "هو يسحق رأسك" (تكوين3: 15). وهذا ما تحقق في عمل المسيح الكفاري وانتصاره التاريخي الساحق على إبليس. ولكن على مر الزمن تتالت المواعيد والإعلانات عبر أنبياء الله بمجيء المسيا والمخلص المنتظر، حتى أنه في عصر ولادة المسيح من مريم العذراء ومجيئه إلى العالم، كان هناك شعور وتوقع عام بقرب مجيئه، حتى أن أسلوب وموضع ولادته كانا واضحين لمنتظري تحقيق مواعيد الله.

وهكذا فإن يسوع المسيح كان يُقدَّم دائما كمن كان موجودا قبل أن يأتي إلى عالم البشر؛ فقد وُصِف في الأسفار المقدسة كمن "نزل" من السماء إلى الأرض، وكمن شارك الآب في مجده منذ الأزل، بل وكمن "خرج من عند الآب" (يوحنا16: 28)، أي كمن هو – في أوثق وأهم المعاني – واحد في الله. كلماته ذاتها لا تترك مجالا للشك في أنه يعتبر نفسه زائرا للأرض، من عالم أسمى، وبأنه جاء في مهمة سماوية خاصة على الأرض لإنقاذ وفداء بني البشر. إذن وباختصار وتحديد واضح جاء المسيح لخلاص قوم ضالين وهالكين.

جَليٌّ إذن أن موضوع وجود المسيح الأزلي قبل التجسد له ارتباط حيوي للغاية بأي مفهوم لائق لشخصه. هذا ما عبَّر عنه أحد كبار المفكرين واللاهوتيين عندما قال: "في دراستنا ليسوع المسيح، من المهم جدا أن نتفهم حياته على ضوء وجوده السابق لقدومه لعالم البشر، فنضع دائما نصب أعيننا أن حقيقة تجسده لم تكن مجرد ولادة رجل عظيم، لأن تجسد المسيح يعني دخول الله إلى حيز ومحيط الوجود البشري. وهكذا نكون على إدراك مستمر بأنه في يسوع المسيح نلتقي وجها لوجه مع الإله المتجسد. ومن جهة أخرى فإن وعينا بهذا الأمر من شأنه أن يولِّد فينا تقديرا لائقا للخدمة التي جاء للقيام بها من أجلنا. إنه من باب المستحيلات أن يتفق مفهومنا للمسيح مع عظمة ما قام به، ما لم ندرك بأن ابن الإنسان قد جاء ليس لكي يُخدَم بل ليَخدُم وليبذُل نفسه فدية عن كثيرين".

خامسا: معجزات المسيح

معجزات المسيح هي برهان قاطع على ألوهيته. إن تعريف المعجزة حسب مفهوم الوحي الإلهي هي عمل أو حدث علني أجري بقوة الله المباشرة بقصد إثبات صحة رسالة الرسول. لكن المعجزات التي قام بها المسيح تختلف، من حيث طبيعتها ومداها وأسلوبها، عن المعجزات التي جرت على أيدي الأنبياء والرسل، فهو بخلاف الأنبياء والرسل، حقق ما حققه من أعمال معجزية بقوته هو لا بواسطة قوة خارجة عنه. عندما

تحققت المعجزات على أيدي الرسل والأنبياء، أصروا دائما على نكران كون ما عملوه راجعا إلى قوتهم الشخصية. مثلا عندما انشطرت مياه البحر الأحمر وعبر شعب الله على اليابسة في قلب المياه لم يتردد كليم الله موسى في أن ينسب العمل لله (خروج14: 13). وهذا أيضا كان موقف يشوع بن نون (يشوع3: 5) وإيليا (الملوك الأول 18: 36) والكثيرين من رجالات الله الذين عملوا العجائب. وهذا ينطبق أيضا على أيام العهد الجديد، فعندما شفى الرسولان بطرس ويوحنا الرجل الأعرج الواقف على باب الهيكل، كان ردُّهما على تعجب الجموع التي شاهدت المعجزة هكذا: "ما بالكم تتعجبون من هذا؟ ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوَّتنا أو تَقوانا قد جعلنا هذا يمشي؟" (أعمال الرسل3: 12). وعندما شفى بولس مريضًا في مقاطعة لسترة وشرع الناس في تقديم ذبائحهم له ولزميله برنابا، سارع برفض ذلك وبإعطاء المجد لله قائلا: "نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم" (أعمال الرسل14: 15). لكن عندما شفى المسيح المرضى وأخرج الأرواح النجسة أو أقام الموتى أو أوقف هيجان البحر، فإنه قام بكل ذلك بقوته غير المحدودة. وقد كشف عن تلك الحقيقة بدون تردد قائلا: "..... الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي....." (يوحنا10: 25). "إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي. ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه" (يوحنا10: 37و 38). لقد جاء تلميذا يوحنا المعمدان ليسألاه عما إذا كان هو المسيا المنتظر أم لا، فأجابهم المسيح قائلا: ".... اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران، "العُمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يُطهَّرون والصُّم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يُبَشَّرون..." (متى11: 4و 5). الله هو الذي أقر ونظم قوانين الطبيعة وهو وحده يقدر أن يغيرها أو يعطلها كما يشاء. لقد أبرز المسيح قوته وعظمته وجلاله في كل مرة أجرى فيها معجزة، موردا بذلك برهانا مرئيا على ألوهيته.

إن عدد المعجزات التي قام بها المسيح كان كبيرا جدا، وقد سجل الإنجيل حوالي أربعين منها، كانت بمثابة أمثلة لإبراز قوة المسيح الشفائية أو مقدرته على إقامة

الموتى والتسلط على قوى الطبيعة. وهناك إشارات في الإنجيل إلى أن الكثير من تلك المعجزات لم تُسجَّل (راجع متى4: 23و 24 ويوحنا20: 30).

سادسا: أهمية الاعتقاد بألوهية المسيح

يعلّم الكتاب المقدس ألوهية المسيح بجلاء ووضوح، وهذا الأمر مفروغ منه بالنسبة لكل من يؤمن بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله. لا يوجد مجال للجدل في أن يسوع المسيح عرَّف نفسه في الإنجيل على أنه الله المتجسد. ومن المؤكد بأن البشر الذين اختارهم الله لتدوين سجلات العهد الجديد، كانوا يتمسكون بهذه الحقيقة الهامة والسامية، ولم يترددوا في عبادة المسيح كالله. ثم أن الكنيسة المسيحية عبر العصور بكافة طوائفها تمسكت بألوهية المسيح الذي تتعبد له. هذا واضح من كافة السجلات العقائدية، من قوانين الإيمان إلى الترانيم الروحية والكتابات التعبدية؛ ففي كتابات وسجلات كل جيل وقرن نجد أن التمسك بألوهية المسيح هو عقيدة كل من قرأوا سجلات الوحي الإلهي وتبنَّوا تعاليمها.

إن إنكار ألوهية المسيح، واعتباره مجرد معلّم أو نبي عظيم، يتناقض مع مضمون الوحي الإلهي؛ فإنكار تعاليم الوحي الإلهي يُبعد الإنسان عن منبع الحكمة والحق، ويدفعه إلى تفاسير عقلانية سطحية لأمور لا يمكن فهمها إلا بالحكمة الروحية التي أوحى بها الله. إن الحياة كل الحياة تكمن في هذا الإدراك الروحي والاعتراف المُخْلِص بألوهية الفادي. هذه هي الحياة الأبدية أن يؤمن البشر بالمسيح المخلِّص. إن عدم وجود هذا الإيمان الكتابي بالمسيح يقود إلى موت روحي أبدي. المسيح هو الحياة ولذلك فإن "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا3: 36).

إن التمسك بألوهية المسيح، حسب تعليم الكتاب المقدس، هو أمر ضروري للغاية بحيث يعتبر المقياس الأساسي للتمييز بين الحق والباطل، وهذا ما يوجِّه انتباهنا إليه الرسول يوحنا في قوله: "أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح. هل هي

من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم... كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله. وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي والآن هو في العالم" (رسالة يوحنا الأولى4: 1 – 3).

إن الرسول بولس يشدد على العقيدة الكتابية الصحيحة بقوله: "ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما (ملعونا) وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس" (1كورنثوس12: 3). إذن يعرفنا بولس بأن الذي استنار من الروح القدس يعترف بالمسيح يسوع كرب ومخلّص، وهذا يعني أنه يؤمن بألوهية المسيح؛ فالفرد الذي يتأمل في يسوع بمجرد عينيه، غير المستنيرتين من الروح القدس، لا يرى فيه سوى إنسانيته، وقد يصل إلى درجة الإقرار بأن المسيح كان رجلا عظيما وبأن مبادئه سامية للغاية. هذا كل ما يمكن لإنسان غير مستنير أن يرى في المسيح، لكن ذلك غير كاف لأنه نصف الحقيقة. وحالما يجدد الروح القدس الإنسان وينير بصيرته الروحية فإذ ذاك يرى نفسه خاطئا أمام الله ومحكوما عليه بالقصاص، ويرى في نفس الوقت – بعين الإيمان الجديدة – أن يسوع المسيح هو حقا ابن الله المتجسد، الذي صُلِب لأجل خطاياه وقام من الأموات، وهو جالس الآن عن يمين الآب بكل سلطان وعظمة. لقد كتب أحد كبار لاهوتيي القرن التاسع عشر عن هذه الحقيقة قائلا: "كل من يؤمن بأن المسيح هو ابن الله – أي كل من يؤمن بأن يسوع الناصري هو الله الذي كشف عن نفسه في الجسد – ويحبه ويطيعه، فإن هذا الإنسان قد وُلِد من الله. أما الذي ينكر هذا الحق فهو ليس إلا عدوًّا للمسيح بالذات. من ينكر الابن ينكر الآب أيضا؛ فنكران الواحد هو نكران للآخر". وهذا ينطبق تماما على ما أورده الوحي الإلهي على لسان الرسول بولس عندما كتب قائلا: "... إن كان إنجيلنا مكتوما فإنما هو مكتوم في الهالكين، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله" (2كورنثوس4: 3و 4). وبناء على هذا التعليم فإن الهالكين هم الذين لا يرون ولا يؤمنون بأن يسوع هو الله المتجسد، لأن معرفة المسيح والإيمان به واضحة وجلية. ففي العيش مع مجد وبركة المسيح الهناء

والحيوية. من المحال بل ومن غير المعقول أن تكون الحياة هنيئة بمعزل عن مصدرها وبارئها؛ فالذي يؤمن بالمسيح هو الذي يحيا فيه، لهذا فإن حياتنا مستترة مع المسيح في الله وبذلك أصبحنا كاملين فيه ولا ينقصنا شيء؛ فإننا بواسطة الإيمان به فقط نحصل على الفرح الحقيقي بسبب محبته وافتدائه لنا. ويطرح لنا الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس 16: 22 أهمية هذه المحبة من جهتنا فيقول: "إن كان أحد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن أناثيما (أي مرذولا وخذولا)، فلا شك بأن الكتاب المقدس يشدِّد على أن نكران ألوهية المسيح – ورفض قبوله وعدم محبته والثقة به وعبادته وخدمته كإله – إنما تشكل الأساس لدينونة الله الحاسمة لكل الذين يسمعون ويرفضون الإنجيل.

إن ألوهية المسيح هي واقع أرسخ من أن يُرفض، وهي حق أخطر من أن يُنْبَذ بدون عقاب؛ لأن الذين يؤمنون بذلك يخلصون، والذين ليس لهم عيون ليبصروا ويؤمنوا، فهم بعدم إيمانهم قد أهلكوا أنفسهم. هذا ما يقوله الوحي الإلهي الطاهر بالحرف الواحد. "الذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد"، "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا3: 18و 36).